مجلـــة بـدايـــات
Revue :Bidayat ISSN: 2676-198X
المجلد: الرابع (04) / العدد: الثاني(02) / جوان 2022 / ص ص: 116-125

خصائص السرد في حديث أم زرع – دراسة تطبيقية وفق كتاب معجم السرديات لمحمد القاضي -

Characteristics of narration in the hadith of Umm Zara' - an applied study according to - the book "The Dictionary of Narratives" by Muhammad Al-Qadi

سعاد بولشفار[1]

Souad boulechfar [1]

[1] **جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية / قسنطينة /الجزائر**

البريد الإلكتروني : boulechfarsouad@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2022-04-26	تاريخ التحكيم: 2022-04-27	تاريخ القبول: 2022-04-30	تاريخ النشر: 2022-06-22

ملخص البحث

حديث أم زرع – المدونة المختارة – هو حديث طويل سردته السيدة عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه و سلم، و ملخصه اجتماع نسوة من اليمن تعددن أوصاف و مناقب أزواجهن، و كانت خاتمتهن أم زرع التي طلقها زوجها وتزوج بامرأة أخرى، ورغم ما حدث لها إلا أنها أتمت حديثها عنه بجملة رئيسة كانت عماد القصة. و قد أردت أن أعرض هذه القصة على كتاب" معجم السرديات " و هو كتاب قيّم في سياق حقل السرديات ، وقد احتوى على شرح لمصطلحات أدبية كثيرة على الطريقة الألفبائية. و السؤل المطروح: إلى أي مدى يمكن استثمار بعض المصطلحات من هذا الكتاب لمعالجة حديث "أم زرع" معالجة تعتمد على آلية التحليل الأدبي؟ و ما مدى فعاليتها في إبراز خصائص السرد في قصة تتميز بلغة عربية جزلة عميقة، كان لها من تعقيب النبي صلى الله عليه و سلم نصيب حتى دونت في كتب الصحاح منها صحيح مسلم مصدر هذه المدونة؟

الكلمات المفتاحية : أم زرع؛ تسلسل؛ راو؛ رسم ذاتي؛ شخصية.

Abstract:

The tradition of umm Zaraa " the chosen blogger" is a long tradition that the lady Aisha may Allah be pleased with her narrated to the prophet may Allah's peace and blessings be upon him, and its summary is a meeting of women from Yemen who were mentioning the descriptions and virtues of their husbands, and Umm Zaraa was the last one of them whose husband divorced her and married another woman, and despite what happened to her she ended her talk about him with a main sentence that was the mainstay of the story. Therefore, I wanted to present this story to the book " the dictionary of narratives) which is a valuable book in the context of the field of narratives, and it contains an explanation of many literary terms in an alphabetical manner. And the question is: to what extent can some terms from this book be invested to treat the tradition a such treatment that depends on the mechanism of literary analysis? What is the extent of its effectiveness in highlighting the characteristics of the narration in a story characterized by the Arabic language, in a profound manner, which had a share in the commentary of the Prophet may Allah's peace and blessings be upon him until it was written down in the books of al-Sihah, including Sahih Muslim, the source of this blogger?

Kays words: Umm Zaraa.Sequencing.Narrator.Self-portrayal.Charactor.

المؤلف المرسل – سعاد بولشفار: boulechfarsouad@yahoo.fr

تمهيد

تعدّ العلاقة بين النبي صلى الله عليه و سلم و عائشة رضي الله عنها من أرقى العلاقات الإنسانية، التي سرى عبقها و أثرها في حياة الأمة الإسلامية، بل وربما في حياة العالمين، بدليل ما أثر عن النبي صلى الله عليه و سلم في معاملاته و أخلاقه. مما حوته بطون كتب الأحاديث منها كتاب صحيح مسلم – مصدر الدراسة – و من بين الجلسات الزوجية التي شارك فيها النبي صلى الله عليه و سلم عائشة أدب الاستماع و الاستمتاع حديث أم الزرع الذي روته له، و هو عن جماعة من النساء اجتمعن، فوصفت كل واحدة زوجها بما يناسبه من الأوصاف، و كانت الأخيرة هي أم زرع التي فازت على النساء بذكر بعض من تفاصيل حياتها. و قد أعقب النبي صلى الله عليه و سلم على قصة أم زرع بجملة نبوية رائعة هي تأصيل لما قام به أبو زرع مع أم زرع قائلا لعائشة رضي الله عنها << كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زرع لأم زرع >>.

المدونة

-بَاب ذِكْرِ حَدِيثِ أُمِّ زَرْعٍ

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ وَأَحْمَدُ بْنُ جَنَابٍ كِلَاهُمَا عَنْ عِيسَى (وَاللَّفْظُ لِابْنِ حُجْرٍ) حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ:جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمْنَ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا قَالَتِ الْأُولَى: زَوْجِي لَحْمُ جمل غث على رأس جبل وعر لا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلَ قَالَتِ الثَّانِيَةُ :زَوْجِي لَا أَبُثُّ خَبَرَهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ لَا أَذَرَهُ إِنْ أَذْكُرْهُ أَذْكُرْ عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ. قَالَتِ الثَّالِثَةُ :زَوْجِي الْعَشَنَّقُ إِنْ أَنْطِقْ أُطَلَّقْ وَإِنْ أَسْكُتْ أُعَلَّقْ، قَالَتِ الرَّابِعَةُ :زَوْجِي كَلَيْلِ تِهَامَةَ لَا حَرَّ وَلَا قُرَّ وَلَا مَخَافَةَ وَلَا سَآمَةَ، قَالَتِ الْخَامِسَةُ :زَوْجِي إِنْ دَخَلَ فَهِدَ وَإِنْ خَرَجَ أَسِدَ وَلَا يَسْأَلُ عَمَّا عَهِدَ، قَالَتِ السَّادِسَةُ :زَوْجِي إِنْ أَكَلَ لَفَّ وَإِنْ شَرِبَ اشْتَفَّ وَإِنِ اضْطَجَعَ الْتَفَّ وَلَا يُولِجُ الْكَفَّ لِيَعْلَمَ الْبَثَّ، قَالَتِ السَّابِعَةُ :زَوْجِي غَيَايَاءُ أَوْ عَيَايَاءُ طَبَاقَاءُ كُلُّ دَاءٍ لَهُ داء شجك أو فلك أو جمع كلا لك، قَالَتِ الثَّامِنَةُ :زَوْجِي الرِّيحُ رِيحُ زَرْنَبٍ وَالْمَسُّ مَسُّ أَرْنَبٍ، قَالَتِ التَّاسِعَةُ :زَوْجِي رَفِيعُ الْعِمَادِ طَوِيلُ النِّجَادِ عَظِيمُ الرَّمَادِ قَرِيبُ الْبَيْتِ مِنَ النَّادِي، قَالَتِ الْعَاشِرَةُ :زَوْجِي مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ مَالِكٌ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ لَهُ إِبِلٌ كَثِيرَاتُ الْمَبَارِكِ قَلِيلَاتُ الْمَسَارِحِ إِذَا سَمِعْنَ صَوْتَ الْمِزْهَرِ أَيْقَنَّ أَنَّهُنَّ هَوَالِكُ، قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ :زَوْجِي أَبُو زَرْعٍ فَمَا أَبُو زَرْعٍ أَنَاسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ وَمَلَأَ مِنْ شَحْمٍ عَضُدَيَّ وَبَجَّحَنِي فَبَجِحَتْ إِلَيَّ نَفْسِي وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةٍ بِشِقٍّ فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أُقَبَّحُ وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ وَأَشْرَبُ فَأَتَقَنَّحُ، أُمُّ أَبِي زَرْعٍ فَمَا أُمُّ أَبِي زَرْعٍ عُكُومُهَا رَدَاحٌ وَبَيْتُهَا فَسَاحٌ، ابْنُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا ابْنُ أَبِي زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلِّ شَطْبَةٍ وَيُشْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ، بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ. فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرْعٍ؟ طَوْعُ أَبِيهَا وَطَوْعُ أُمِّهَا وَمِلْءُ كِسَائِهَا وَغَيْظُ جَارَتِهَا، جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرْعٍ لَا تَبُثُّ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا، قَالَتْ :خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا قَالَ :كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ :قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زرع لأم زرع [1]".

الهدف من الدراسة

تسعى هذه الدراسة الأدبية إلى اكتشاف جوانب مشرقة من حديث أم زرع الذي يعدّ المدونة المختارة، بدليل ما يتمتع به ظاهريا من جوانب السرد و خصائص التعبير اللغوي الواصف و الجميل. و قد ذكر حديث أم زرع في صحيح مسلم، كما ذكر في كتاب المزهر في علوم اللغة و أنواعها للسيوطي في خاتمة الجزء الثاني من الكتاب تحت عنوان << و نختم الكلام بذكر ملح و مقطعات من كلام فصحاء العرب و نسائهم و صغارهم و إمائهم >>[2].

منهج الدراسة

ارتأيت أن تكون دراسة حديث أم زرع في جانبها السردي بدلا من جملة الأوصاف أوصاف النساء لأزواجهن بما فيها أوصاف أم زرع بداية من قولها:<< خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا قَالَ :كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ، قَالَتْ عَائِشَةُ :قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زرع لأم زرع >> [3]؛ و ذلك باستثمار مصطلحات مناسبة من معجم السرديات و هو من أهم الكتب المعينة على المعالجة الأدبية ؛و بحسب ترتيبها الألفبائي كما وردت في الكتاب. **باستثناء مصطلح (تفاعل قولي) لأنه يناسب تعقيب النبي صلى الله عليه و سلم بجملته الأخيرة وهي آخر ما ذكر** << كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زرع لأم زرع >>.

الإشكالية

تمثلت إشكالية الدراسة في أمرين:

الأول: هل يمكن أن تكون هناك مقاربة علمية باستثمار مصطلحات لها علاقة بحقل السرديات بين حديث أم زرع وهو سرد حكائي لجماعة من نساء اليمن و قد ذكر في صحيح مسلم و هو من كتب الأحاديث النبوية الصحيحة، وبين معجم السرديات الذي يعدّ من المؤلفات المعاصرة التقنية التي تجمع بين النظري و التطبيقي و الذي يعبر عن جهد بشري كان اعتماده في التمثيل و الاستشهاد على **القصص** و الروايات الخيالية؟ و كانت وظيفته شرح مصطلحات لها علاقة بحقل السرديات؟

الثاني: ما هي المعاني المستخلصة من حديث يبدو من الوهلة الأولى جلسة نسائية كان لوصف أزواج فيها حضور قوي؟ وهل يمكن أن يكون له جانب من جوانب التأصيل الشرعي على اعتبار ما أعقب به النبي صلى الله عليه على حديث عائشة رضي الله عنها بجملته الأخيرة؟

و بما أن مداخلتي لها علاقة بأحد المعاجم ذات المحتوى العلمي، رأيت أن أقدم شرحا لمعنى المعجم ثم تعريفا لمعجم السرديات الذي اخترت أن تكون الدراسة وفق محتواه الذي ضم كثيرا من مصطلحات السرديات.

قيمة المعجم

للمعجم دور كبير في تقديم شروحات خاصة بحسب الأهداف المقصودة من كل نوع من أنواعه، فالمعاجم لم تعد تقتصر على الشرح المعجمي للألفاظ، بل أصبح جزء منها خاص بالمصطلحات بحسب العلوم أو الفنون أو الصناعات التي تنتمي إليها. و عليه فالمعجم هو << كتاب يضم مفردات لغة ما، أو مصطلحات علم ما، وفق ترتيب خاص >> [4]. أما معجم المصطلحات فهو يحتوي << على مصطلحات علم معين، أو موضوع علميّ ما، فيذكر معانيها واستعمالاتها المختلفة... وغالبا ما يأتي مرتبا ترتيبا ألفبائيا >>[5].

ثم إن الحاجة إلى معاجم المصطلحات فإنها قوية وآكدة؛ لأن هذا النوع من المعاجم << مرتبط بالعلوم و الفنون و مستجدات الحياة >>[6] و هذا ما أكد في مقدمة " معجم السرديات " و الذي استعنت به في دراسة حديث أم زرع.

التعريف بكتاب معجم السرديات

و الكتاب هو معجم على الطريقة الألفبائية خصص لمصطلحات السرد و ما يتعلق بها شرحا و تمثيلا؛ و هو << يندرج ...في سياق جهود ما فتيء الباحثون يبذلونها في مجال التأليف المعجمي من جهة، و في سياق حقل السرديات من جهة أخرى >>[7]. و قد اهتم مؤلفوه بحقل السرديات بإشراف "محمد القاضي" و هي << من الحقول المعرفية الحديثة التي ازدهرت في النصف الثاني من القرن العشرين و ما فتئت تتطور و تتوسع فتنهل من غيرها من المعارف كاللسانيات و السيميائية و التداولية، كما تتسرب إلى اختصاصات كثيرة شأن الأدب و التاريخ و الفلكلور و المسرح و السينما و الموسيقى... ومن شأن هذا التوسع ينزل السرديات منزلة محورية من البحث المتعدد الاختصاصات في عصرنا >>[8] و يعدّ هذا الكتاب إضافة إلى ما قدمه المعجميون السابقون منهم " جيرالد برش" الذي وضع معجم السرديات و نقله إلى العربية عابد خزندار بعنوان " المصطلح السردي" و السيد إمام بعنوان " قاموس السرديات " و الآخر " معجم مصطلحات نقد الرواية للطيف زيتوني.[9] إلا أن الكتابين كما ورد في مقدمة الكتاب << لا يشملان المصطلحات السردية، و لا يقدمان للمصطلح شرحا وافيا، و لا يلتزمان خطة واضحة في وضع المصطلح>>[10] ويبدو أن قلة التآليف الخاصة بمصطلح السرديات كما ذكر سابقا أدى إلى تأليف هذا المعجم ليكون << بين أيدي الباحثين و الطلاب و المثقفين العرب عامة ...يوضح الغوامض و يقف على الفويرقات و يقدم مداخل تجمع بين الجانبين النظري و التطبيقي >>[11]. و هذا يؤكد أن << مصطلح السرد لم يعد حبيس المفاهيم الكلاسيكية التي تجعله لا يبرح حقل القصة أو الحكاية. فقد أضحى مجالا تتمظهر من خلاله كيفيات انتظام الكلام وتلاحق متتالياته. و البحث في معماريته الممتدة في مجموع مقولاته العامة >>[12]. وعلى هذا الأساس كانت الدراسة وفق مايلي من مصطلحات السرد:

1- مصطلح تسلسل

مصطلح **تسلسل** هو << مصطلح دالّ على تتابع المقاطع السرديّة التامة في نص سردي .فإذا انتهى مقطع بدأ مقطع آخر. و على هذا النحو تتالى المقاطع ...خطيا دون أن تتداخل فيما بينها >>[13] و هذا ما حدث في قصة أم زرع بين المقطع الأول الذي هو << خَرَجَ أَبُو زَرْعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ

فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا >> و المقطع الثاني و هو<< فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا قَالَ :كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ >>. إلا أنه في العبارة الأخيرة حدث تداخل و حضور بين الشخصيتين و الدليل قولها << فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي >> و هي تقصد الزوج الثاني واسع العطاء و الجود << مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ >>. و هذه الجملة خاصة بأبي زرع، و بهذا تختفي آثار الزوج الثاني كليا. و هو تقليل واضح و صريح و إشارة قوية إلى مكانة أبي زرع عند أم زرع. و الملاحظ أنه إذا كانت هذه المقاطع قد اتسمت بالقصر فهي مفعمة بتفاصيل أغفلت يمكن استخراجها عن طريق الإيحاء.

2- مصطلح راو

يتمثل الراوي المباشر في شخصية عائشة رضي الله عنها، و الراوي هو << العون السرديّ الذي يعهد إليه المؤلف الواقعي بسرد الحكاية أساسا >>[14] هذه الحكاية تعدّ حقيقية، و قد أعادت السيدة عائشة رضي الله عنها روايتها مجددا للنبي صلى الله عليه و سلم في جلسة نبوية سامية مرتبطة بالحكمة النبوية الشريفة، و المتمثلة في تزكية النبي صلى الله عليه و سلم باعتباره كما قال : << خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي >>، ثم للمتلقين عبر العصور من قراء وعلماء و باحثين و مثقفين.

و يتمثل عمل الراوي في حديث أم زرع في << استعادة أقوال الشخصيات >> [15] و المتمثلة في أقوال أم زرع التي بنيت عليها الحكاية من أولها إلى آخرها.و البارزة في << ضمير السرد >>[16] أو ضمير الأنا المتكلم ثم ضمير الغائب و المتمثل في زوجه الثاني. و إذا كان الراوي عنصرا قصصيا متخيلا[17] فإن راوي القصة و هو عائشة رضي الله عنها راو حقيقي وليس متخيلا؛ لأن القصة تنتمي إلى الحقيقة، لا إلى الخيال، بل أن عائشة رضي الله عنها هي علة وجودها، و ليس صانعا وهميا كما ورد في معجم السرديات، و هذا يوضح الفرق بين الراوي المتخيل في الكتابة والإنشاء و بين الإنسان الراوي الحقيقي خاصة إذا كان من الصحابيات، و كان زوجا للنبي صلى الله عليه و سلم وهي عائشة التي ذكر فضلها في صحيح مسلم << أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه و سلم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم << يا عائش هذا جبريل يقرأ عليك السلام >> قالت: فقلت: و عليه السلام و رحمة الله، قالت: و هو يرى ما لا أرى >>[18]. بالإضافة إلى هذا فعائشة رضي الله عنها هي << راو شخصيّ >>[19] و يسمى الراوي الشخصي كذلك << العلني أو الصريح >>[20] و دوره في الحكاية << أن تكون حكايته الخاصة>>[21] باعتبارها ناقلة الخبر و المتعلق بفترة مهمة من حياة أم زرع [22] أو الإخبار عن << شيء انتهى و تم >>[23] و تعدّ أم زرع أيضا إلى جانب السيدة عائشة رضي الله عنها الراوي الشخصي الحقيقي الذي سرد على جماعة النساء مقاطع موجزة من حياتها الزوجية، و قد كان دورها واضحا في تقديم الأحداث من وجهة نظرها [24].

3- مصطلح رسم ذاتي

مصطلح **رسم ذاتي**[25] هو في<< الأدب... فرع من فروع كتابة الأنا يسعى فيه المؤلف إلى تعريف القراء بحقيقة ذاته و تقديم وصف شامل لنفسه لحظة الكتابة >>[26] و الواضح أن أم زرع قد أغفلت رسم ذاتها في المقطع الأول من حكايتها لما طلقها أبو زرع ؛لأنها لم تعقب على فعل الطلاق – على حسب الرواية المعتمدة - و استبدالها بزوج آخر وجدها مع ولديها - و المقرر بحسب الرواية المختارة من صحيح مسلم أنها لم تعبر عن انزعاجها و عن التعثر في حياتها الزوجية بدليل أن أبا زرع بحسب ما روته << خَرَجَ ...وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَّانَتَيْنِ فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا >> فأكملت حكايتها قائلة <<فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا قَالَ :كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ >> إلا أنها فجرت الأمر في نهاية الحكاية بجملة هي **الجملة المفاجأة** التي لم توحي بها

الجمل السابقة من هذا السرد الحكائي؛ هذه الجملة هي << فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ >>. فأم زرع هنا بحسب الرسم الذاتي هي رمز للوفاء و الحب، لم تحب زوجها الثاني كما أحبت أبا زرع فكان في المرتبة الأولى، و**لم** يستطع الزوج الثاني أن يحل محله في قلبها بالرغم من جوده و كرمه بدليل قولها << وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا قَالَ :كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ >> و لعل لمقوم << الثبات و الإطلاق >>[27] ارتباط بشخصية أم زرع على اعتبار أنهما << قوام ذلك الرسم الذي يعمل على تقديم الأنا من حيث هي جوهر مطلق متعال على الزمان >> [28] و قد تعالت أم زرع على الزمان لأن الرسم الذاتي لأبي زرع جعله في مرتبته الأولى عندها، و كأنه لم يطلقها و لم يستبدلها بزوج أخرى، فأبو زرع هو هو نفسه رغم القطيعة فآنيته الصغرى أجود من كل فضل قدمه لها زوجها الثاني. إن أم زرع مثال للمرأة التي تتمتع بموضوعية كبرى و هذا من باب احتساب الفضل لأهله. و هذا يؤدي إلى الحديث عن الشخصية.

4- مصطلح شخصية

مما هو مؤكد << تمثل الشخصية مع الحدث عمود الحكاية الفقريّ>>[29] و قد اجتمع في هذا السرد ثلاث شخصيات؛ شخصية أم زرع، الراوية الأولى قبل عائشة رضي الله عنها والواصفة و المعبرة، وشخصية أبي زرع الشخصية المروي لأفعالها، و الشخصية الثالثة هي الزوج الثاني لأم زرع، و هو الزوج الكريم صاحب المكانة الاجتماعية.

و تعد أم زرع شخصية بؤرية[30] لأن << بؤرة الإدراك تتجسد فيها. فتُنقل المعلومات السردية من خلال وجهة نظرها الخاصة >>[31]. و قد نقلت أم زرع المعلومات السردية من خلال وجهة نظرها لما عبرت عنه من أوصاف لزوجها الثاني و ذلك في قولها << فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا قَالَ :كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ >>. و عن ميلها العاطفي لأبي زرع؛ و ذلك ما عبرت عنه بالجملة الأخيرة << فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ >>. و بهذا فأم زرع هي << موضوع تبئير>>[32] لأن المعلومات المقدمة من قبلها من أوصاف و أحداث و نتائج << على ضربين: ضرب يتعلق بالشخصية نفسها بوصفها مبأرا ... و ضرب يتعلق بسائر مكونات العالم المصوّر التي تقع تحت طائلة إدراكها.>>[33] و ما وقع تحت طائلة إدراكها هو الذي أفصحت عنه بالجمل المعبرة و المصورة و الواصفة لزوجيها الإثنين؛ فهي << مرآة عاكسة>>[34] لفضل زوجين عليها. و قد ساعد هذا السرد الحكائي في أن المتلقي قد تلقى << كما غزيرا من خصائص الشخصية الدلالية >>[35] فالخصائص الدلالية للزوج الثاني قد ذكرت في جمل آخذة برقاب بعضها البعض، وهي واضحة، في حين انطوت خصائص الشخصية الدلالية في العبارة الموحية و المعبرة عن أبي زرع الذي أثر في حياة أم زرع أكثر من الزوج الثاني البار هو الآخر بها، و لكن هذا قسمه عندها.

5- مصطلح كتابة الأنا

مصطلح كتابة الأنا << يشير ...إلى جنس جامع لضروب من الكتابة السردية تتخذ ذات المؤلف مدارا لها >>[36] و قد تحدد الأنا في حديث أم زرع بداية من قولها << فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا قَالَ :كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ>>، إلا أن الملاحظ أنّ الأنا هنا غير << منغمسة في عالم الذات منغلقة عليه >> [37] و الدليل ازدواج الحديث بين الأنا و هي أم زرع و الزوج الثاني الذي لم تذكر اسمه و لا كنيته، ورد الفعل هذا يعبر عن علاقة باهتة وضحتها الجملة الأخيرة << فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ >>.

6- مصطلح مقول له

هذا المصطلح << يتنزل ... في نطاق الخطاب باعتباره عملا ينجزه قائل ...يتوجه إلى مخاطب يتلقى ما يقال. >>[38] و الموجه إليه الخطاب هنا هو النبي صلى الله عليه و سلم على اعتبار أن السارد هو عائشة رضي الله عنها، وهي في الدرجة الثانية بعد أم زرع التي تعد السارد الأول الحقيقي لمخاطبتها جماعة النساء اللائي كن معها، و بهذا تعدّ أم زرع منجزة القول و جماعة النساء << مقول له >>[39] أو هن << المقول له المباشر>>[40] ثم يأتي النبي صلى الله عليه و سلم في الدرجة الثانية بعدهن ثم عامة المخاطبين في كل العصور، حتى يتحول الجميع << إلى قائلة هي أيضا >>.[41]

7- مصطلح مقوم سردي

و هو << مصطلح سيميائي ... يقتصر على وصف الاختلافات التي تظهر في تتابع النص. فإذا تتبعنا مثلا تطور شخصية مثلا في نص ما فإن ذلك التطور يبدو من خلال تتابع الحالات المختلفة التي تمر بها الشخصية. ذلك أن الشخصية التي عليها مدار النص يمكن أن تصور نموذج النجاح أو نموذج الخيبة. و من ثم فإن المقوم السردي هو المسار الذي تقطعه الشخصية من الانفصال إلى الاتصال أو من الاتصال إلى الانفصال مع ما يمكن أن يتخلل ذلك المسار من ازدواج، كأن تتصل الشخصية بالثروة و تنفصل عن السعادة أو العكس>>.[42] و إذا ما طبقنا هذا المقوم السردي على قصة أم زرع و علاقتها بزوجيها بدا المسار الذي قطعته من الانفصال إلى الاتصال حيث تحدثت عن أبي زرع صاحب الفضل الأول حين بدأت حكايتها بجملة من الأوصاف، ثم يبدو الاتصال واضحا عندما تتحدث عن زوجها الثاني الذي قالت عنه << فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا وَأَخَذَ خَطِّيًّا وَأَرَاحَ عَلَيَّ نَعَمًا ثَرِيًّا وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا قَالَ :كُلِي أُمَّ زَرْعٍ وَمِيرِي أَهْلَكِ >>و بعده يأتي الانفصال في جملتها المفاجأة << فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ >>.

8- مصطلح واصف

تعدّ أم زرع في هذه الرواية واصفا و إذا كان الواصف << في الواقع نشاط لغوي فني تنجزه ذات تتكلم ... و لما كان المتكلم في النص السردي هو الراوي فإن الواصف هو الراوي المنتج التخييلي للوصف. و هو الذي يفتتحه في المواطن التي يرى حضوره فيها ضروريا و يختتمه عندما يقدر أنه أدى الوظائف الموكولة إليه >>[43] و قد أدت أم زرع وظيفتها عندما اعترفت بفضل أبي زرع في آخر جملة قالتها, و هي بهذا تكون << الراوي الواصف >>[44] الذي << يعلق ظرفيا وظيفته ساردا للأحداث و يحافظ في الآن ذاته، على هويته راويا يخاطب مرويّا له /موصوفا له يشترك و إياه في مستوى السرد، و في العلاقة بالحكاية >>[45] فأم زرع لها علاقة بالحكاية لارتباطها بزوجين أكرماها، إلا أن كفة الوصف العالي آلت إلى أبي زرع باعتباره الفائز، و لمطابقة جملة الأوصاف المذكورة قبل سرد الأحداث في الفقرة حتى نهايتها و هي الجملة المفاجأة التي انطوت فيها كل خصال أبي زرع الفاضل و هي << فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ >>.

9- مصطلح تفاعل قولي

و المقصود بالتفاعل القولي << هو شبكة التأثيرات المتبادلة التي يمارسها طرف على طرف آخر أثناء التبادل التواصليّ القائم أساسا على الكلام...و هذا يعني أن كل خطاب هو بناء جماعي...سواء تعلق الأمر بمحادثة عادية أو بحوار قصصيّ أو بنص مكتوب أو بغير ذلك من سائر الأنشطة القولية >>[46] و هذا التفاعل القولي بين عائشة رضي الله عنا و بين النبي صلى الله عليه وسلم هو خارج عن حدود النص المروي، إلا أنه يختصر شخصية النبي صلى الله عليه و سلم في جملة << كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زرع لأم زرع >> و هي << آخر ما يعيه السمع و يرتسم في النفس >>[47]، و فيها تمّ إجراء علاقة مشابهة من حيث الجود و الكرم، وحسن المعاملة و الاحتواء، إلا أنها ليست على الإطلاق فالرسول صلى الله عليه و سلم يختلف عن أبي زرع في أنه لا

يخطر على باله أبدا أن يطلق عائشة رضي الله عنها، بالمقابل فإن عائشة رضي الله عنها قد رزقت بزوج ذي خلق و صاحب مودة و رحمة. و قد دل تفاعل النبي صلى الله عليه و سلم على أنه << لا يتكلف في القول و لا يتصنّع، سليمَ المنطق،و ليس في كلامه حشو و لا سقَطٌ و لا بذاءٌ و لا هزلٌ و لا عوجٌ >>[48].

نتائج البحث:

من خلال هذه الدراسة تبين استثمار جملة من المصطلحات المناسبة لحديث أم زرع و هذا باعتماد معجم السرديات؛ و هو من أهم المعاجم الشارحة و المعينة على إبراز خصائص السرد في هذا المروي. و من بين هذه المصطلحات: مصطلح تسلسل، راو، رسم ذاتي، شخصية، كتابة الأنا، مقول له، مقوم سردي، واصف، تفاعل قولي.

أما بخصوص المعاني فقد كانت حكاية أم زرع بيت القصيد الذي اتخذه النبي صلى الله عليه و سلم عمودا لإبلاغ عائشة رضي الله عنها مكانته عنده فقال لها << كُنْتُ لَكِ كَأَبِي زرع لأم زرع >>. إضافة إلى هذا ما تميز به النبي صلى الله عليه و سلم من حسن الاستماع لزوجه عائشة رضي الله عنها و الاستمتاع معها بهذه الحكاية اللذيذة و هي من طرائف النساء و طرائف تفكيرهن و بلاغاتهن، أما عن تعقيبه فلم يعدم النبي صلى الله عليه و سلم الفضل لصاحبه أبي زرع رغم أنه طلق امرأته، فقد شفع له عنده احترامه و وده لأم زرع و الدليل ما قالته عنه في الجملة الأخيرة. << فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِي مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آنِيَةِ أَبِي زَرْعٍ >>.

قائمة المصادر و المراجع

1- السيوطي عبد الرحمن / **المزهر في علوم اللغة و أنواعها** / شرح و تعليق : محمد أبو الفضل و آخران / المكتبة العصرية : صيدا – بيروت / ط 1 / 1425- 2004 / ج 2

2- الشيباني أبو عمرو / **معجم الجيم** / هذبه و درس أنواع المعجم و تطوراته : محمد فريد عبد الله / دار و مكتبة الهلال – دار البحار : بيروت / ط 1 / 2004

3- عميش عبد القادر / **شعرية الخطاب السردي و شعرية الخبر** / دار الألمعية للنشر و التوزيع : الجزائر / ط 1 / 2011

4- العسكر عبد المحسن بن عبد العزيز / **معالم البيان في الحديث النبوي** / مكتبة دار المنهاج للنشر و التوزيع : الرياض – السعودية / ط 1 / 1435هـ .

5- القاضي محمد – الخبو محمد و آخرون / **معجم السرديات** / الرابطة الدولية للناشرين المستقلين ، ط 1 ، 2010

6- مسلم أبو الحسين النيسابوري / **صحيح مسلم** / ترقيم و ترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي / طبعة منقحة مخرجة الأحاديث على صحيح البخاري / دار الفجر للتراث : القاهرة / ط 2 / 1434 هـ- 2013 م.

الهوامش:

[1]- مسلم أبو الحسين النيسابوري / **صحيح مسلم** / ترقيم و ترتيب : محمد فؤاد عبد الباقي/ طبعة منقحة مخرجة الأحاديث على صحيح البخاري / دار الفجر للتراث : القاهرة / ط 2 / 1434 هـ- 2013 م.

[2]- السيوطي عبد الرحمن / المزهر في علوم اللغة و أنواعها / شرح و تعليق: محمد أبو الفضل و آخران / المكتبة العصرية: صيدا – بيروت / ط 1 / 1425- 2004 / ج 2، ص 383.

[3]- صحيح مسلم ، كتاب فضل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، باب ذكر حديث أم زرع، رقم الحديث 2448 ، ص 855 ، رواه البخاري.

[4]- الشيباني أبو عمرو / معجم الجيم / هذبه و درس أنواع المعجم و تطوراته : محمد فريد عبد الله / دار و مكتبة الهلال – دار البحار : بيروت / ط 1 / 2004، ص 40.

[5]- المصدر نفسه، ص 49.

[6]- المصدر نفسه، ص 49.

[7]- القاضي محمد – الخبو محمد و آخرون / معجم السرديات / الرابطة الدولية للناشرين المستقلين /ط 1، 2010 / ص 5.

[8]- المرجع نفسه، ص 5.

[9]- المرجع نفسه، ص 6 بتصرف.

[10]- المرجع نفسه، ص6 بتصرف.

[11]- المرجع نفسه، ص6

[12]- شعرية الخطاب السردي، ص 13

[13]- معجم السرديات، ص 91

[14]- المرجع نفسه، ص 195

[15]- المرجع نفسه، ص 195

[16]- المرجع نفسه، ص 195

[17] - المرجع نفسه، ص 5 19بتصرف

[18]- صحيح مسلم، كتاب فضل الصحابة، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها ص 854

[19] - معجم السرديات، ص 196

[20]- المرجع نفسه، ص 196.

[21] - المرجع نفسه، ص 196.

[22]- المرجع نفسه، ص 196 بتصرف.

[23]- عميش عبد القادر/ شعرية الخطاب السردي و شعرية الخبر/ دار الألمعية للنشر و التوزيع: الجزائر/ ط1/ 2011، ص 20.

[24]- معجم السرديات، ص 196 بتصرف.

[25]- المرجع نفسه، ص 199.

[26] - المرجع نفسه، ص 199.

[27]- المرجع نفسه، ص 199.

[28]- المرجع نفسه، ص 200.

[29]-المرجع نفسه، ص 270.

[30] -معجم السرديات، ص 271 بتصرف.

[31] - معجم السرديات، ص 271 بتصرف-

[32] - المرجع نفسه، ص 271

[33]- المرجع نفسه، ص 271

[34]- المرجع نفسه، ص 272
[35]- المرجع نفسه، ص 271
[36] - المرجع نفسه، ص 354
[37]- معجم السرديات، ص 354
[38]- المرجع نفسه، ص 414
[39]- المرجع نفسه، 414
[40] - المرجع نفسه، ص 415
[41]- المرجع نفسه، ص 415
[42]- المرجع نفسه، ص 417
[43]- معجم السرديات، ص 468
[44]- المرجع نفسه، ص 468
[45]- المرجع نفسه، ص 468
[46] - معجم السرديات، ص 107
[47] - المرجع نفسه، ص 164
[48] - العسكر عبد المحسن بن عبد العزيز / معالم البيان في الحديث النبوي / مكتبة دار المنهاج للنشر و التوزيع : الرياض – السعودية / ط 1 / 1435هـ، ص 14